

هناك الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي تمرُّ أمامنا أو نستعملها، من دون التفكير العميق بدلالاتها. وتعبق الأجواء العقائدية، بالتحديد بالكثير من المفاهيم . المسلمات، التي يردها بعض أتباع تلك العقائد ببغائيا، من غير أن يكلف الفرد منهم عناء البحث لمعرفة أبعاد المعنى. من هذه المفاهيم نذكر مفهوم تعاقب الأجيال في المجتمع، واختلافها وصراعها أو تآلفها، ومفهوم الجيل الجديد.

فالجيل بحسب التعريف العلمي التقليدي له هو "كل الأشخاص الذين يولدون ويعيشون في المرحلة الزمنية الواحدة، ويُنظر إليهم بشكل جماعي... ويكون معظمهم من العمر نفسه تقريبًا، ولديهم أفكار ومشاكل ومواقف مشابهة." ويعرف كارل مانهايم، عالم الاجتماع المجري الشهير، الجيل بأنه "الأشخاص ضمن مجموعة محددة والذين يختبرون الأحداث الهامة نفسها، خلال فترة زمنية محددة".

أما من الناحية البيولوجية، يمثل الجيل مسافة زمنية تستغرق الفترة الواقعة بين ولادة الشخص وبلوغه متوسط العمر، وهي تبلغ في المعتاد الأربعين عامًا، كما أن مفهوم الجيل يشمل كل أفراد المجتمع الذين نشأوا سويًا، في مرحلة الطفولة والشباب واشتركوا في الظروف نفسها، وواجهوا الهموم والمعاناة ذاتها، وعملوا لتحقيق الطموحات والأهداف المشتركة، وخضعوا لتأثيرات متشابهة.

فمفهوم الأجيال، بالتالي، يعبر عن هذه الحالة العمرية والمسافة الزمنية التي تفصل بين جيل وآخر، وما يميز كل جيل عن الآخر، هو الثقافة وأسلوب التنشئة، ووجود نمط معين من التفكير والرغبات والطموحات، ونظرة معينة إلى العالم والمجتمع والحياة، وهذه الأفكار والقيم والرغبات، هي التي تحدد هوية كل جيل، وتميزه عن الآخر. وبالنتيجة، فإن هذه الفروقات النفسية والفكرية، تتسبب بفجوة بين رؤية الكبار ومواقف الشباب تجاه الكثير من الأمور الحياتية، قد تؤدي في أغلب الأحيان إلى الصراع.

بدأ التحليل الجاد للأجيال في القرن التاسع عشر، حيث خرج من الوعي المتزايد بإمكانية التغيير الاجتماعي الدائم، وفكرة التمرد الشبابي ضد النظام الاجتماعي القائم. وأكد مانهايم أن سرعة التغيير الاجتماعي عند الشباب، أمر حاسم لتشكيل الأجيال، التي، عادة ما تُطوّر شخصية خاصة متماسكة.

شجع الانتشار المتزايد لمفاهيم التنوير في أوروبا، فكرة أن المجتمع والحياة قابلان للتغيير، وأن الحضارة يمكن أن تتقدم. كما شجع ذلك معادلة دور الشباب في التجديد الاجتماعي والتغيير. وغالبًا ما ركز الخطاب السياسي الأوروبي في القرن التاسع عشر على قوة الشباب وتأثيرها في التجديد. وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، كان معظم مفكري أوروبا يميلون للنظر إلى العالم على أساس الأجيال لجهة تمرد الشباب وسعيهم إلى التحرر.

هناك عاملان مهمان أسهما في تغيير العقلية.

أولهما التغيير في الهيكل الاقتصادي للمجتمع، العائد للتغيير الاجتماعي والاقتصادي السريع. فأصبح الشباب على وجه الخصوص، أقل امتثالًا لآبائهم وسلطتهم العائلية، مما كانوا عليه. وقد أتاح لهم قدر أكبر من الحراك الاجتماعي والاقتصادي، أن يخرقوا سلطتهم إلى حد أكبر بكثير، مما كان ممكنًا تقليديًا. بالإضافة إلى ذلك، كانت مهارات وحكمة الآباء، في كثير من الأحيان، أقل قيمة مما كانت عليه بسبب التطور العلمي التكنولوجي والاجتماعي.

أما العامل الثاني فكان انهيار الهويات الاجتماعية المحلية والإقليمية التقليدية. فقد شجع انتشار الفكر القومي، والعديد من العوامل التي أوجدها (الصحافة الوطنية، التجانس اللغوي، التعليم العام، قمع الخصائص المحلية) على شعور أوسع بالانتماء من الانتماءات المحلية. فكّر الناس في أنفسهم بشكل متزايد كجزء من المجتمع، وهذا شجع التواصل مع مجموعات خارج المتحد المحلي.

تصنيف الأجيال في الغرب

يصنّف علماء الغرب، اليوم، ويطلقون التسميات، على عدد من الأجيال في عصرنا الحالي

على الشكل التالي:

• **التقليديون أو الجيل الصامت،** المعروف أيضًا باسم القلة المحظوظة (Lucky Few)، وُلد أعضاؤه بين عامي 1925 و1945 تقريبًا. ويشمل ذلك بعض الذين قاتلوا في الحرب العالمية الثانية. (أعمارهم اليوم بين 74 و 95 سنة). وهو جيل المواصفات التالية: دور محدود للمرأة، وظائف مدى الحياة، زواج لمدى الحياة، حيث الطلاق أو الأولاد خارج الزواج، لم يكن مقبولاً، قيم مشتركة وحقائق شبه مطلقة، تقدير الانضباط والتضحية بالنفس والحد.

• **الجيل كثير الإنجاب،** المعروف أيضًا باسم الجيل W أو Gen W، هو الجيل الذي ولد معظمه بعد الحرب العالمية الثانية، أي بين 1946 و1964. (أعمارهم اليوم بين 55 و 73 سنة). وكان سبب كثرة الإنجاب تعويضُ الخسائر البشرية الفادحة في الحرب. وقد اتسم هذا الجيل بالتحول، نحو التركيز على النفس، والمصالح الشخصية، والرغبة القوية لتغيير القيم المشتركة، لصالح الجميع، وبداية عمل المرأة خارج المنزل، وقبول الطلاق، بل وازدياده بشكل مضطرد. وبداية اعتماد التكنولوجيا والابتكار، وهو أول جيل تلفزيوني، وجيل متفائل ومندفع، ويحبذ العمل كفريق، وأكثر إيجابية تجاه التقاليد والسلطة وهيكلتها الهرمية.

• **الجيل X،** الذي يشار إليه اختصارًا باسم Gen X. وهو الجيل الذي ولد أعضاؤه بين أوائل ومنتصف الستينيات وحتى أوائل الثمانينيات. (أعمارهم اليوم بين 38 و 55 سنة). ومن خصائص هذا الجيل انه نشأ معزولاً، بسبب عمل الوالدين خارج المنزل، اكتسب هذا الجيل، مهارات فطرية من الاختبارات الشخصية، وهو فردي ومنه الكثير من رواد الاعمال، اهتماماته محلية، وليست عالمية، يشعر بأن الأجيال الأخرى تسيء فهمه، يتفرد بأنه شهد الانتقال والتحول من العصر الورقي إلى العصر المعلوماتي الرقمي، ولاؤه لنفسه وليس للمؤسسات، يغير أكثر من 6-7 وظائف خلال حياته المهنية، زواجه متأخر وسريع الطلاق، مع الكثير من الأمهات العازبات، يعشق الماركات، يشاهد الفيديو بشكل دائم، ضعيف الالتزام، حذر، متشكك، غير مولع بالسلطة، ويعتمد على نفسه.

• **جيل الألفية،** والمعروف أيضًا باسم الجيل Y أو Gen Y أو Millennials، أي الذين ولدوا بين أوائل الثمانينيات وحتى مطلع الألفية الحالية. (أعمارهم اليوم بين 20 و 38 سنة). وهو جيل متناقض مع الجيل السابق، يقدر السلطة، يعتبر أن العالم ليس مكانًا آمنًا، ينظم ويجدول كل شيء، يشتكي من الضغوط الأكاديمية، صاحب طموحات كبيرة، يفضل كل ما هو رقمي، ويتلقى كل معلوماته من خلال الانترنت، يفضل العمل من ضمن فريق، لديه آراء قوية

وحازمة، يتعامل مع العالم من حوله على مدى 24 ساعة و7 أيام، ويريد معاملات سريعة وفورية، ويتوقع معاملة خاصة من العالم حوله، ويفضل بيئة عمل أكثر استرخاءً ومرونة، ويتوقع الكثير من المكافآت.

• **الجيل Z** ويعرف أيضًا بـ Gen Z أو Centennials، وهو مجموعة الأشخاص الذين ولدوا بعد جيل الألفية، أو بين أواخر التسعينيات حتى الآن. (أعمارهم اليوم تحت 20 سنة). ويتميز هذا الجيل بالنشأة وسط كل أنواع التقنيات الحديثة، من الأجهزة الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي، والمحتوى الرقمي الغني والمتنوع، تقنيات يبدأ باستخدامها بأعمار مبكرة جدًا، وهو جيل مستهلك يتمتع بالدهاء، ويعرف ماذا يريد وكيف يحصل عليه، كما أنه مشبع بالماركات...

تكامل أم صراع بين الأجيال؟

لكل جيل ميزات تختلف عن الأجيال التي سبقتة، وعن تلك التي ستأتي بعده. وعليه، فإن العلاقات بين الأجيال المختلفة، تتميز عادة بوجود فجوة بينها، تتخذ في معظم الأحيان شكل الصراع. وبمقارنة التصنيفات المذكورة، نرى أن الفجوة تختلف بين الأجيال المتعاقبة في كل مرحلة. فهناك تمايز كبير بين أجيال W و X، وبين X و Y، وبين Y و Z. ويعتقد بعض العلماء أن الفجوة تزيد مع التقدم التقني، فيما يراهن آخرون بأن الفجوة بين جيل Z والجيل الذي سيليه ستكون اضيق بسبب أن جيل Z هو مؤهل تكنولوجياً بشكل كبير. لكن هذه الفجوات تزيد بشكل كبير بين الأجيال المتباعدة، إلى حدّ انعدام التفاهم فيما بينها، مثل العلاقة بين جيل Z و X أو جيل Y مع W. ويمكن بالتالي أن يلعب جيل X دور الوسيط بين W و Y، الخ

لا شك أن الفتوة، أو المراهقة، هي المرحلة الأنسب لانفتاح الشباب على العالم في كل عصر، والتحليق في الجو الواسع، والبدء بأولى الاختبارات في حياة الأفراد الاجتماعية والعملية. وغالبًا ما يتهم الشباب آبائهم أو أسلافهم بالتخلف وعدم مواكبة الحضارة، وينظر الجيل الجديد إلى أفكار الجيل القديم وتصوراته، على أنها تصورات قديمة متخلفة لا تلائم عصرهم، ولا تتفق مع المتغيرات الجديدة، والمستجدات التي تطرأ على حياة الأفراد والجماعات. في المقابل يتهم الآباء والكبار جيل الشباب بالسطحية والاستهتار، ويشتكي الجيل القديم من افتقاد القيم، وحاجة الأجيال الجديدة إلى الإحساس بتلك القيم، فهم يحتاجون إلى العمق والجدية في نظرهم

إلى الحياة. لكن، ومع تقدم العصر لم يعد الآباء أصحاب الكلمة العليا، في صياغة مستقبل أبنائهم، بل أصبحوا مجرد مشاركين، مع وسائط كثيرة إعلامية وتكنولوجية.

اتسعت الفجوة بين الأجيال في السنوات الأخيرة، بعد تطور وسائل الاتصال الحديثة، ونشوء الجيل الجديد في ظل انفتاح اجتماعي وثقافي واسع، وبالتالي رفض كل ما هو تقليدي وموروث.

وعلى الرغم من ذلك، يتراوح التعامل مع هذه الفجوة بين خيارات الصراع والانعزال والتكامل بين هذه الأجيال. ومفهوم الصراع هو تفاعل يدل على الحركية، للبحث عن توازن مستمر في الوجود أو الحياة، وتتعدد أشكاله بين ما هو صحي وإيجابي، وما هو مرضي وسلبى، ليحقق التوازن، وليحافظ على تواجد المكونات، من دون إقصاء أو تدمير، طرف على حساب طرف آخر.

لا بد إذًا من خلق نوع من التوازن، بين اندفاع الشباب والاستعانة بأهل الخبرة، فكليهما مطلوب للإدارة، ولتطوير الأداء وإنجاز المهام. وتنهض المجتمعات بتتابع الأجيال، أجيال تذهب وتبقى أفعالها في الذكريات، وأجيال تأتي ومعها الأمنيات، ويبقى بين هذه الأجيال خيوط تواصل وارتباطات، تحكمها عوامل متعددة مثل الاحترام المتبادل والحوار، أو قمع الجيل القديم للجيل الجديد، أو تجاهل كل منهما للآخر.

كل هذا النقاش يتناول مفهوم الجيل، ببعده البيولوجي والزمني. وهنا سنقوم بتحليل أبعاد إضافية، لمفهوم الجيل الجديد، مثل الوعي والثقافة. وبعد عرض تطور الآراء عبر العصور، نستعرض موقف أنطون سعاده من مسألة صراع الأجيال، ومفهومه للجيل الجديد، ومدى ارتباط ذلك بمسائل العمر والزمن والوعي. وكيف أن مسألة تعاقب الأجيال، يمكن أن تؤدي إلى صراعات داخل المؤسسات، التي كانت تعتبر في بداية تأسيسها، أن كل أعضائها هم من الجيل الجديد بعامل الوعي. لكن هل يفرض تطور الحياة صراعًا بين الأجيال الزمنية، ضمن هذه الفئة الواعية التي تعتبر نفسها جيلًا جديدًا مع التنوع العمري بين أفرادها؟ وما هي نسب الأجيال W، X، Y، و Z في تركيبة أحزاب اليوم؟ وكيف يؤثر ذلك على قدرة هذه الأحزاب على التجدد، واجتذاب أجيال الشباب الحالي والقادم، للمشاركة في تطوير المجتمع ومواكبة تطورات الحياة؟

التطور التقني زاد الفجوة

ليست الفجوة بين الأجيال أمرًا طارئًا، بل كانت موجودة قبل انتشار الإنترنت، وستظل قائمة ما لم يبحث الطرفان عن مساحة للالتقاء، وذلك بأن يعترف الشباب بخبرة الكبار، المكتسبة من تجارب السنين، ويعترف الكبار بتفوق الشباب في التعاطي مع المستحدثات التقنية، ومواكبة تطورات الحياة على نحو أسرع.

لقد ظلت هذه الفجوة تتسع بصمت، إلى أن ساهمت في انفجارها الثورة الرقمية، وما تحقق من تقدم هائل، في وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي. وساعدت شبكة الإنترنت على إيصال أصوات، لم تكن تصل من قبل، بل كان من السهل وأدها من دون أن يثير هذا الأمر ضجة. لكنها في الوقت نفسه، كوّنت لمشهد التصادم بين الحديث والتقليدي، في طريقة تناول مختلف القضايا.

وتقلّ مساحة هذه الفجوة أو تزيد، بحسب مستوى تحصيل الأهل العلمي والثقافي، فالأسر المتعلمة والمثقفة تحاول قدر الإمكان مواكبة العصر، لضمان القدرة على التفاعل مع الجيل الجديد، مع أن الأولاد يظنون أن الأهل يجهلون ما يعرفونه هم، ويتعجبون من ملاحقة الأهل للغة العصر، وكأن الثورة التقنية حكر عليهم، والكبار عاجزون عن التعاطي معها...

آراء في اختلاف الأجيال عبر العصور

بدأت ظاهرة استغلال مسألة صراع الأجيال للتغيير الاجتماعي تطفو على السطح في المجتمعات، مع نهاية القرن التاسع عشر، غير أنّ المفكرين عبر العصور قدروا أهمية الاختلاف بين جيل وآخر، وتأثير ذلك على التربية والمجتمع. ويعد «مفهوم الجيل» مفهومًا أساسيًا في دراسة الشباب كفئة اجتماعية محددة، وفي تفسير الظواهر المرتبطة بالتطور التاريخي، وتحليل العوامل المحددة للتغيير الاجتماعي.

رأى أفلاطون في الصراع بين الأجيال المتعاقبة، قوة محرّكة للتغيير الاجتماعي. وأرسطو فسّر الثورات بالصراع بين الأبناء والآباء، وليس فقط بالصراع بين الطبقات. وابن خلدون استعمل هذا المفهوم في بناء نظرية نشوء وانحلال الدولة، التي اعتبر أن لها أعماراً طبيعية كما للأشخاص، وقدّر عمر الجيل بأربعين عامًا، ومن ثم فإن عمر الدولة لا يزيد بنظره، - في الغالب - على مائة

وعشرين عامًا، على اعتبار أنها تمر بثلاثة أجيال، هي جيل البداوة، جيل التحول إلى الحضارة، وجيل الترف والانحلال والهرم.

وللإمام علي بن أبي طالب أقوال ماثورة لها قيمة عالية في هذا المضمار، إذ يقول:

- ربوا أولادكم لزمان غير زمانكم.
- لا تُؤدّبوا أولادكم بأخلاقكم لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم.
- لا تُكرهوا أولادكم على عاداتكم، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم.

شكل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في أوروبا، الفترة الرئيسية، التي تبلور فيها مفهوم الجيل بمعناه الغربي الحديث، وذلك نتيجة للتحوّلات التاريخية التي شهدتها أوروبا، والتي أفرزتها حركات اجتماعية قائمة، بالأساس، على العنصر الشبابي، إضافة إلى التيارات المتنامية التي بدأت تبحث عن نهج علمي لفهم التاريخ، وطرحت بالتالي مفهوم الجيل كأداة منهجية لقياس الزمن التاريخي.

وقد كان أوغست كونت Comte أول فيلسوف يقوم بمحاولة جادة لدراسة الأجيال بطريقة منهجية. ففي مؤلفه Cours de Philosophie، أشار إلى أن التغيير الاجتماعي، يتحدد من خلال التغيير بين الأجيال، وخصوصًا عبر حركة الصراع بين الأجيال المتعاقبة.

ويرى مانهايم أن مفهوم الجيل أساسي، ويستمد أهميته من الإمكانيات التي يتيحها لتحليل تشكل الحركات الاجتماعية والفكرية، وفهم التحوّلات المتسارعة في المجتمع. ويشدد مانهايم أن الوعي الاجتماعي، وتشكل وجهة نظر الشباب، عند بلوغهم مرحلة النضج يحصل في وقت ومكان معينين، ويتأثر بشكل كبير بالأحداث التاريخية الكبرى في تلك الحقبة. بالتالي فإن تصنيف الأجيال، غالبًا ما يتخذ الإطار المجتمعي، فتختلف تصنيفات الأجيال بين مجتمع وآخر.

ولجبران خليل جبران أيضًا رأيه الأدبي الثاقب في هذا المجال، إذ يقول:

"إن أولادكم ليسوا أولادًا لكم، إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها، بكم يأتون إلى العالم، ولكن ليس منكم. ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكًا لكم. أنتم تستطيعون أن تمنحهم محبتكم، ولكنكم لا تقدرون أن تغرسوا فيهم بذور أفكاركم، لأن لهم أفكارًا خاصة بهم. وفي طاقتكم أن تصنعوا المساكن لأجسادهم، ولكن نفوسهم لا تقطن في مساكنكم. فهي تقطن

في مسكن الغد، الذي لا تستطيعون أن تزوروه، حتى ولا في أحلامكم. وإن لكم أن تجاهدوا لكي تصيروا مثلهم. ولكنكم عبثًا تحاولون، أن تجعلوهم مثلكم. لأن الحياة لا ترجع إلى الوراء، ولا تلذ لها الإقامة في منزل الأمس ..."

فجبران إذا يرى ان الحل الوحيد، هو في أن يجاهد الجيل القديم ليفهم الجيل الجديد، ويصير مثله، وليس العكس. وهذا يتوافق مع ما ذكرناه حول الأسر المتعلمة والمثقفة، وما نراه يحدث في يومنا هذا حتى على مستوى المؤسسات، حيث تعمل الكثير منها تدريجيا، على مواءمة أنظمتها التشغيلية وإجراءاتها، لجعل مكان العمل ملائمًا أكثر لجيل الألفية، وجيل Z القادم إلى سوق العمل قريبًا، والذي لا يشعر أعضاؤه بأي تمييز ملموس، بين حياتهم المادية والرقمية. ولا بد من فهم أعمق، لقيم هذا الجيل وتوجهاته، حتى يستطيع الأفراد أو المؤسسات، فهم ما عليهم القيام به لمواكبته. فهو جيل يعتمد على نفسه، ويتحلى بالمشاعر والصدق والصراحة، ويتأثر بالنفوذ الاجتماعي والسمعة على مواقع التواصل الاجتماعي، ويقدر اقتصاديات الإنترنت، ونشوء قيادات عالمية جديدة، أكثر أهمية من السياسيين، ويعتبر التواصل وتعلم المهارات، من خلال شبكة الانترنت، أهم من الحصول على شهادة جامعية.

سعاده ومسالة الأجيال وتطور الحياة

مطلع القرن العشرين، وتحديدًا في الأول من شهر شباط سنة 1924 يكتب أنطون سعاده إلى قراء مجلة "المجلة" في ساو باولو:

"العالم الآن أخذ في الاختمار، بآراء جديدة وفلسفات جديدة وعلوم جديدة وفنون جديدة. وفعل هذا الاختمار أخذ في التأثير، في كل قسم من أقسام الدنيا، من القطب الشمالي حتى القطب الجنوبي، على مدار الأرض كلها.

كم هو مبلغ معرفتك عن هذه المسميات. وماذا تعلم عن سيرها؟

العالم الآن على أبواب معارك هائلة، تلتحم فيها جنود العلوم والمعارف والآداب، والعدل والحرية والسلام، مع جنود المبادئ الرجعية، والظلم والعبودية والحروب، فمن أي الجنود أنت؟

الحياة اليوم تختلف كثيرًا، عما كانت عليه منذ نحو مئة سنة. فمنذ مئة سنة إلى اليوم، قد حدث في العالم تغييرات وتطورات شتى. ومنذ الآن إلى مئة سنة أخرى، سندخل في تغييرات وتطورات لم يكن يحلم بها عقل بشري من قبل. ولكنها قد ابتدأت تتحقق أمام أعيننا، فنحن نشعر بتأثيرها الآخذ في الازدياد يومًا فيومًا."

يتبنى سعادته في هذا المقال مبدأ تطور الحياة، الناتج عن التغييرات التي يحدثها الاختمار بآراء جديدة، وفلسفات جديدة وعلوم جديدة وفنون جديدة، ويحسم حتمية الصراع مع جنود المبادئ الرجعية والظلم والعبودية والحروب. ويستشرف حصول تغييرات وتطورات في المئة سنة القادمة، لم يكن يحلم بها عقل بشري من قبل، وقد شهدناها نحن، على مدى المئة عام من تاريخ نشر مقال سعادته. ولا شك أن هذا الكلام كان يعتبر تغييريًا وحماسيًا، في ذلك الحين، من كاتب مغمور في العشرين من عمره.

هو المنهمك بشؤون الأمة والمجتمع، يتابع تفاصيل الحياة الاجتماعية، فينشر مقالاته في مجلة "المجلة" التي أصدرها في بيروت بعد عودته إلى الوطن، ونقرأ في مقال "التفكير العملي والإصلاح الاجتماعي" المنشور بتاريخ 1933/4/1، انتقاده لشكل النظام الاجتماعي القائم لناحية قمع الجيل القديم للجيل الجديد، فيكتب: "نرى من مظاهر هذا النظام الفاسد، أنّ الأب يقهر ابنه في بعض رغباته الفنية أو العلمية، بدلًا من أن يجتهد، في تقويم ما اعوج منها، وتسديد خطواته في السبل المؤدية إلى تحقيقها. ونرى الأب يقهر الأم، في كثير من الأمور الحسنة التي ترغب فيها. ونرى الأب والأم يقهران الابنة في أعظم رغباتها شأنًا في حياتها، ويقرران مصيرها تقريرًا يسحق عواطفها ويجردّها من كل إرادة في الحياة، فتصرف بقية حياتها منكسرة القلب حزينة النفس. قولوا لي، أيها السادة، هل يمكن هذه الأنسة متى أصبحت أمًّا أن تغذي أبناءها بروح الثقة بالنفس، والاعتماد على النفس، وحرية الفكر، وحرية التصرف، وسائر الفضائل، التي بدونها تكون الحياة عديمة الجدوى، عديمة الارتياح، عديمة السعادة، عديمة المعنى، اللهمّ إلا معنى الخمول والذل والانحطاط والعبودية؟ وهل يمكن الأطفال النامين تحت ضغط القهر وإذلال النفس، أن يخرجوا رجالاً ونساءً أحراراً؟"

وبعد انكشاف أمر الحركة القومية الاجتماعية في 1935، التي أسسها حزبًا سرّيًا، ظهرت كحركة شبابية زعيمها في مطلع الثلاثينات من عمره، ومعظم الأعضاء مثله سنًا أو أصغر، حتى أنه وضع ضوابط تمنع قبول انضمام من هو فوق الأربعين من عمره، إلى صفوف الحركة، إلا

بإذن خاص. وكان يركز بشكل كبير على الطلبة والعناصر الشابة التي لم تشوه أفكارها بعد. من هنا، كان دائم التحدث عن الحركة، بأنها الجيل الجديد، لكنه أضاف إلى عامل العمر، عنصراً شديداً الأهمية، هو عنصر الوعي للذات وللحقيقة القومية، وتأسيس ذلك على العلم لأول مرة في هذه البلاد، وتقييم العلم بقدر ما يفيد نهوض البلاد. فيكتب لاحقاً في جريدة "الجيل الجديد" 1948/04/04، مقالا بعنوان الجيل الجديد ما يلي:

"ينهض في بلادنا اليوم جيل جديد من الناس له إلى الحياة والكون والفن نظرة فيها فكر جديد وشعور جديد.

إنه أمة جديدة فتية تظهر في التاريخ من أمة قديمة سقطت بعد نشوئها، وطواها تاريخ مفجع قروناً عديدة.

إنه جيل جبار مهمته العظمى: رفع الحياة وفهم الكون وإنشاء الفن وتغيير وجه التاريخ!"
ويضيف: "حيثما نشأت حياة جديدة قوية، وقام جيل جديد فتى، محقت حياة قديمة واهنة، وسقط جيل قديم هرم."

لقد وصف الجيل الجديد بأنه فتى، وتبنى نظرية أن صراع هذا الجيل الفتى مع جيل قديم هرم، هو محرك للتغيير الاجتماعي. وبالتالي حمل الجيل الجديد، نظرة إلى الحياة والكون والفن، فيها فكر جديد وشعور جديد، ومهمة عظمى هي رفع مستوى الحياة، وفهم الكون وإنشاء الفن وتغيير وجه التاريخ!

وهذه مقاربة مبتكرة لمفهوم الجيل الجديد وتطوير للنظرية الأوروبية، التي كانت تقول أن الصراع الطبيعي، بين الجيل الجديد المتحمس بشكل عفوي، وغالبًا بغياب نظرة جديدة موحدة للحياة، وبين ما هو قديم، يمكن استغلاله لإحداث التغيير الاجتماعي. وبالتالي يمكن لبعض المهرة من قادة الجيل القديم، أن يستغلوا صخب الجيل الجديد، ويستخدموه لإحداث تغييرات معينة، تفيدهم هم أكثر ما تفيد الجيل الجديد نفسه، أو المجتمع ككل. من هنا فإن سعادته تفوق على ذلك المفهوم، من خلال ابتكار، وتبني الجيل الجديد لنظره جديدة إلى الحياة والكون، وتنكبه مهمة عظمى، تحدد له الاتجاه الصحيح، حتى لا يتم تسخيره لمآرب الجيل القديم الهرم.

يتابع في مقاله نفسه: "إنّ المشكلة العظيمة التي تواجهها الأمة هي مشكلة اختلاف حياتين وصراع جيلين:

يريد الجيل القديم من الجيل الجديد أن يسير على خطه، وينظر إلى الحياة بنظاراته، فيراها أحقادًا ومخاوف ورياءً وخداعًا وعودًا وتسليمًا. يريد الجيل القديم من الجيل الجديد أن يحيا في الماضي ويطوّق نفسه بأطواق نفسية الماضي.

أما الجيل الجديد، ففي نظره تعبير قوي، عن الحياة الجديدة الجيدة. إنه يرى الحياة إخلاصًا وشجاعةً وصراحةً وصدقًا ونصحًا وإقدامًا وإباءً.

في كل مسألة تظهر اليوم يظهر فيها وجهها الجيلين المتناقضين، في كل ناحية من أنحاء الحياة الاجتماعية، في الاقتصاد، في السياسة، في الثقافة، في الروحية، في الفن، وفي كل شكل، وكل مظهر، من أشكال الحياة ومظاهرها."

هنا يجزم سعادته بحتمية الصراع بين جيلين. مازجًا بين العمر والوعي والنظرة والمهمة، ليحدد الجيل الجديد. وكان هو نفسه وقتها في الرابعة والأربعين من العمر. لكنه عندما يتحدث عن الجيل الجديد، يعتبر أن الحركة القومية الاجتماعية هي الرائدة والمعبرة الأوفى عن مسيرة الجيل الجديد، ونظرته ومهمته. ويجادل بعض النقاد أنه اختزل بذلك، من تبقى من الشباب والفتيان، الذين لم ينضموا إلى النهضة وقتها، واعتبرهم لا يمثلون الجيل الجديد إلا إذا تبنا فكره.

ويصف في خطاب وجهه إلى الطلبة القوميين في الجامعة الأميركية (1949/5/16)، علاقة الحركة بالطلاب (الدارسين الشباب) قال فيه: " إنّ الحركة نشأت في أوساط الطلاب وحملها في بادئ الأمر الطلاب، وسار بها الطلاب، إلى أن أصبحت اليوم هذه الحركة الشعبية العامة الواسعة، التي تصهر في بوتقتها مختلف النفسيات، مكوّنة منها نفسية واحدة قومية اجتماعية، لها قصد واحد واضح في الحياة، ولها إرادة واحدة تفعل في جموعها كلها، تسيّرنا صفوفًا مترابطة، قد قررت أن يكون مصيرها واحدًا مهما كان، نهوضًا أو سقوطًا، وفي هذا القرار، على أن تكون واحدة موحدة في كل الحالات، في هذا القرار يكمن سر الانتصارات التي حققتها الحركة حتى اليوم...."

"فالطلاب كانوا دائماً ولا يزالون عاملاً أساسياً في الحركة القومية الاجتماعية، إنهم النفوس الجديدة، التي لم تكن قد فعلت فيها سموم القضايا الرجعية، ولم تكن قد تمكنت منها الثقافات المحجرة للعقل، المعطلة للإرادة الحرة في الإنسان، المسيّرة للفئات والجماعات، بعوامل الاستمرار في الماضي وفي اتجاه الماضي."

وهنا يؤكد أن الطلاب هم: "عنصر التحرر من قيود قضايا الماضي. إنه عنصر مؤهل لحمل قضايا جديدة، لنفوس جديدة. ولذلك تظل الحركة القومية الاجتماعية، تشعر أنّ الطلاب يكونون دائماً نقطة انطلاق وارتكاز في العمل القومي الاجتماعي."

إنّ عددًا كبيرًا من العاملين في الحركة القومية الاجتماعية، كانوا طلابًا ونشأوا نشأتهم وهم طلاب، فنضجت أفكارهم ومواهبهم، في القضية القومية الاجتماعية، منزهة عن الاختلاطات بقضايا الرجعة.

صُنِعَ الطلاب في الحركة القومية الاجتماعية، هو توليد قوّة فاعلة حرة، قوّة واحدة بعقلها الحر المنظم، وإرادتها الحرة، التي تريد الحياة الجديدة، من غير أن تعطل إرادتها قيود وقضايا الحياة التي ماتت."

وفي هذا الخطاب يعيد سعادته التأكيد أن هناك ثقافات محجرة للعقل ومعطلة للإرادة الحرة في الإنسان ومسيّرة للفئات والجماعات بعوامل الاستمرار في الماضي وفي اتجاه الماضي. وهذه الثقافات يحاول بها الجيل القديم تحجير الجيل الجديد وتوجيهه في اتجاه الماضي وقيمه، فيما الحركة القومية تسعى إلى تحرير هذا الجيل وتوحيد اتجاهه نحو الحياة الجديدة والمستقبل. وهو هنا يتحدث عن فئة عمرية محددة هي فئة الطلبة الجامعيين، أي من هم في عقدهم الثاني أو في مطلع العشرينات من العمر.

انتقد سعادته الفتور الذي أصاب بعض القوميين بعد التأسيس، خلال كلمة افتتح بها مؤتمر المدرسين في 17 تموز 1948، ذلك الفتور المستمد من خصائص الجيل القديم، ويقول: "وكانت اجتماعاتنا الأولى تصاب بهذا المرض من التلكؤ ومن الفتور، من الخمول، الذي لا يزال يغط فيه عدد غير قليل، من الذين بعد دخولهم الحزب القومي الاجتماعي، أصبحوا يقولون في ضمائرهم: "قد أصبحنا بحمد الله من المؤمنين ولعنة الله على الكافرين". وكفى!". وقد عاد هذا الخمول وأصاب الكثيرين من بعده.

ويتابع في بث روح التجديد والصراع: "إنَّ الإرادة الحية الجديرة بالخلق والإبداع، أو إنَّ مقدرة الخلق والإبداع، تقدر أن تتغلب على جميع الصعوبات التي تعترضها، وتنجح على الرغم من هذه الصعوبات لا بفضلها. إنَّ للصعوبات فضلاً واحداً، وهو حَكَّ المقدرة، ولكن ليس لها تسبب الخلق. إنَّ الخلق والإبداع هما مقدرة ذاتية روحية فكرية، تتغلب بقوَّتها وبفاعليتها على كل صعوبة، وتنتصر على الرغم من الصعوبات لا بسبب الصعوبات. ونحن قد انتصرنا منذ بدء حركتنا إلى اليوم، ليس بفضل الصعوبات، بل على الرغم من الصعوبات، وبفضل عقيدتنا وإيماننا، وبما في نفوسنا من خلق وإبداع، ومقدرة على اجتياز العقبات، والتغلب على كل صعوبة، يمكن أن تعترض طريقنا إلى الفلاح والانتصار."

لم يكن أحد يتحدث عن الخلق والإبداع في ذلك الزمن، تحديداً في مجال العمل العام، في مجتمع يسوده الخمول، وتدجين الجيل الجديد أو تكبيله، أو زجه في مدارس الرساليات، التي تعمل على تجهيله لحقيقته، وبث روح الإعجاب والانبهار بالغرب، والدونية تجاه منجزاته، والاستخفاف بحضارتنا وتاريخنا ومقدراتنا. فكان سعادته فريداً في إعطائه كل هذه الأبعاد، لصراع الجيل الجديد الفتى، الذي اعتبره عصب الحركة، واعتبر الحركة المُعَبَّرَ الأوفى عنه، والمؤسسة الوحيدة القادرة، أن تتحول إلى حركة الشعب العامة، وتحقق التغيير الاجتماعي، والنهوض القومي. وقد حدد أسباب انتصار الحركة حتى تاريخه، بالرغم من الصعوبات، كان بفضل عوامل ثلاثة: العقيدة، والإيمان، وما في نفوسنا من خلق وإبداع ومقدرة على اجتياز العقبات والصعوبات. وميزات الخلق والإبداع هذه، تنمو وتتجدد مع تدفق الأجيال الفتية، بنفوسها الجديدة وافكارها الجديدة، وعلومها الجديدة. فتصبح أولويات الحركة هي الوصول إلى هذه الأجيال الفتية، واجتذابها إلى رحاب العمل النهضوي، لضمان استمرار قدرته على الخلق والإبداع. ومن البديهي أن معركة الوصول إلى الجيل الفتى في كل عصر تختلف أدواته وآلياته على مرّ الزمن، ولا يمكن تجميد هذه الوسائل، وعدم استخدام ما يقدمه تطور الحياة، والتقنيات الحديثة والاعلام والتواصل والمؤسسات التربوية ومفاهيمها من إمكانات.

ويوضح في المحاضرة نفسها: "أنَّ القضية الأولى التي تواجه العقيدة القومية الاجتماعية، هي قضية التربية والثقيف، قضية الصراع المميت بين تاريخ حديث، وتواريخ دخيلة مستمرة، قضية الصراع الفاصل بين نفسية فتية، تنظر إلى الحياة والكون والفن، نظرة جديدة، ونفسيات شائخة، اعتادت النظر إلى شؤون الحياة والكون ضمن الحدود المغلقة، التي

تكونت فيها. ففضية الصراع العقائدي الذي أثارته الحركة السورية القومية الاجتماعية، بتعاليمها الجديدة هي قضية صراع ثقافي تعليمي، بين مبادئ الحياة الجديدة ومبادئ الحياة الجامدة.

إنّ صلب المعركة ليس مع الذين انتهى تكوينهم النفسي على خطط منافية للعقيدة القومية الاجتماعية، وللنفسية التي تتطلبها، بل في العمل مع الذين هم في طور التكوين النفسي، إنّ صلب المعركة هو في تثقيف نفسية الأحداث، ومعارفهم في البيت، وفي المدرسة الابتدائية، والمدرسة الثانوية. وتستمر المعركة العقائدية ما وراء ذلك. " ويختم بالقول: " إذا ربحتنا الأحداث ربحتنا معركة العقائد ومعركة المصير القومي كله".

إذًا فإن القوة الدافعة المحركة لحركة النهضة، هي الأحداث والأجيال الفتية، في كل زمن، والمصدر الأساسي لرفد الحركة بالمواهب الجديدة، المتميزة القادرة على الخلق والابداع، والتجديد والتغيير الاجتماعي.

اجتزاء مفهوم الجيل الجديد بعد سعادة

كلام سعادة في هذا المجال، هو في جوهره استكمال لرؤيته، حول الصراع بين الجيل الجديد والجيل القديم. لكنه هنا يربط الصراع بالنفسيات الفتية والنظرة الجديدة التي تحملها، وربطها بالأحداث والطلبة، وبالتالي بالفئات العمرية الفتية. غير أن ما حصل لاحقًا، وبعد عقود من استشهاده وهو في ريعان الشباب، وبعد أن أصبح الطلبة الذين بناهم كهوًا وشيوخًا، هو تجريد مفهوم الجيل الجديد من عنصر العمر والشباب، والقول بأن كل من يتبنى نظرة سعادة الجديدة إلى الحياة، يمتلك نفسية فتية، حتى لو أصبح في العقد الثامن أو التاسع من عمره، وبالتالي فهو جيل جديد!!

وبذلك حدث ضرب التحديد العلمي للجيل الجديد، والذي طوره سعادة، وأضاف إليه عناصر الوعي والنظرة والمهمة، من دون أن يلغي عامل العمر. ومع تعطيل عنصر العمر، أصبحت حركة النهضة، مُسَيَّطَرٌ عليها من أجيال شاخت، ونفسيات هرمت وتعبت، ولم تستطع مواكبة تطور الحياة، فأطبقت على قيادتها، وفرضت فهمها وأسلوب حياتها، وتفسيراتها للحياة وأدوات عملها القديمة، بحجة أن المسائل الاجتماعية والقومية لا تتغير على مدى قرون. مع أن العالم

شهد تغيرات خلال القرن المنصرم، توازي كل التطورات والتغيرات التي شهدها، على مدى آلاف السنين. وقد أثرت هذه التطورات، كما استشرّف سعادته من مئة عام، على كل نواحي الحياة، وانتجت في الغرب، أجيالاً متعددة مختلفة، وشهد مجتمعنا ولادة أجيال مشابهة مقابلة، مع اختلاف الظروف والتجربة. فهل يجوز أن يبقى الجيل W وبعض المتدربين على يده من الجيل X، قابعين على صدر حركة النهضة ومصدرين قيادتها، مدة تزيد على سبعة عقود منذ استشهاد سعادته، ويفرضون فهمًا قديمًا مجتزأً لنظرة الزعيم إلى الحياة وتطوراتها التي استشرّفها هو، حتى أنه قال أن المبادئ التي وضعها هي قواعد انطلاق الفكر، وليس مكبلات أو محددات للفكر، كما مارست القيادات المتعاقبة، مع بعض الاستثناءات.

ومن الملاحظ أن كل من القيادات التاريخية، التي تولت المسؤولية بعد سعادته، من دون سن محدد للتقاعد، قد طبعت مرحلة معينة من تاريخ الحزب بطابعها الخاص، النابع من أسلوبها في فهم سعادته ونظريته، ومن ظروف نشأتها في الأربعينات والخمسينات والستينات من القرن الماضي، وحدود معرفتها بتطورات الحياة في مجتمعنا وفي العالم. وغالبًا ما تصبح هذه المعرفة قديمة وتراثية، لعدم القدرة على مواكبة العصر، وعدم إفساح المجال للجيل الجديد الشاب، للتدرج في تحمل مسؤولية قيادة الحركة. وسعادته الذي استشهد وهو في الخامسة والأربعين من العمر، لم يتسنَّ له، أو لم يرَ بعد ضروريًا وقتها أن يضع قانونًا للتقاعد، كما وضع قانونًا يمنع انتماء من هو فوق الأربعين من العمر، إلا بإذن خاص. وإنما نزعّم أنه لو بقي حيًّا لحدد سنًّا للتقاعد من العمل، في إدارات الحزب العليا، ربما يكون سنُّ الـ 64 عامًا، مع إمكانية تمديد استثنائي، لبعض القيادات المميزة لمرة واحدة فقط، حتى سن الـ 68. ويترافق ذلك مع إفساح المجال أمام الطلبة والشباب للتغيير، وتطوير آليات العمل لمواكبة العصر وتطور الحياة، وتمرسهم بالعمل القيادي، للتأثير على تطوير العمل، وفهم تطورات الحياة، بالتعاون مع أصحاب الخبرة لفترة، ويكون التجديد متواصلًا وسلسًا، وموحد الاتجاه، مرتكزًا إلى المبادئ قواعد انطلاق، وجاذبًا للمزيد من الأجيال الفتية الجديدة

العلاقة بين الأجيال داخل النهضة

إذا كان سعادته قد حسم حتمية الصراع بين الجيل القديم الذي يمثل الماضي، والجيل الجديد الذي تمثله حركة النهضة، مع تركيزه على الطلبة والأحداث، كنقطة انطلاق وارتكاز في

العمل القومي، فماذا كان سيكون رأيه بمسألة اختلاف المقاربات والفهم وآليات العمل، بين الأجيال الفتية والأجيال التي تقدمت في العمر، من ضمن المؤمنين بفكره والعاملين في صفوف حزبه؟ لا شك أنه كان سيستمّر في إعطاء اهتمام كبير للشباب والطلبة، ويفسح أمامهم مجال تسلم مراكز قيادية في الحزب، مع الاستفادة من خبرات الأعضاء المتمرسين والمخضرمين، من أصحاب التجارب والخبرات. وهذا ما طبقه بنفسه في مرحلة 47-49. وبالتالي فما يراه تصادمًا حتميًا خارج الحزب، بين الجيل الجديد الفتى والجيل القديم الهرم، لا يصلح نموذجًا يُطبق داخل الحركة. بل إن السعي إلى التوفيق والتفاعل، بين الفئات العمرية المختلفة داخل الحزب هو الأساس، للحفاظ على الوحدة الروحية التي توحيدها العقيدة والايمان من جهة، وللحفاظ على قدرة الحركة على الخلق والابداع والتجديد المستمر، من خلال تأمين مساحة أساسية، للأجيال الفتية في قيادة الحزب، من أصحاب العلوم والخبرات والكفاءات الحديثة، على وجه الخصوص، فهي التي تؤمن التطور المستمر في آليات العمل.

وما حصل بعد غيابه المبكر، كان استئثار الجيل المخضرم بقيادة الحزب، وفرض فهمه وأسلوب إدارته، وأدوات عمله وخلافاته على الحزب وأجياله، وكانت ممارسات معظم هذه القيادات المخضرمة، أقرب إلى ثقافة النظام الأبوي التسلطي، السائد في المجتمع، والذي شكل سعادته بأسلوبه وتفكيره وإدارته نقيضًا له. مما وضع جيل الشباب أمام خيارين: إما الرضوخ وتبني نظرة من سبقه من القيادات إلى سعادته، أو التمرد والخروج. فتعززت التبعية والاستلاب، وصار الجيل الشاب المرضى عليه، هو الجيل الذي يقلد ويستنسخ هذا أو ذاك من القادة. فحل مع الوقت الولاء مكان الكفاءة في اختيار المسؤولين.

في علم الإدارة أو الهندسة، عند تصميم أي مسار أو خط إنتاج، له مدخلات ومخرجات، إذا أُقفلت المخرجات لأي سبب، أو ضُيقت، يحصل ازدحام في الداخل، ينعكس ازدحامًا على المداخل، مما يؤدي مع الوقت إلى طول انتظار، وفقدان الصبر أو الأمل بالدخول والمشاركة، في العمل بشكل فعال، مما يؤدي إلى إعراض عن المشروع، وفقدان الجاذبية، فلا يعود هدفًا لأحد كي يريد المشاركة فيه.

بينما تفترض الديناميكية تصميم مسارات سلسلة وواضحة وفعالة. بحيث يكون هناك تدفق دائم للدم الجديد، الذي يتدرج بالمسؤوليات بحسب الكفاءة والمقدرة، لا الولاء والتبعية لأحد، وتدفق دائم للخروج من المسار في نهاية الخدمة بعد عمر معين، بحيث يمكن الاستفادة

من خبرات البعض وتجاربهم من موقع الاستشارة والتحليل، لا من موقع الاستمرار في القيادة التنفيذية، ومواقع اتخاذ القرار. وما بين الدخول والتقاعد أو التخرج، يكون كل فرد أو مجموعة أو جيل، قد وضع كل ما عنده من إمكانيات ومواهب وخبرات وعلوم، بتصرف العمل ونموه ونجاحه وانتصاراته، وإبقائه مواكبًا لتطور الحياة، ومستفيدًا من أحدث ما تقدمه التقنيات، والوسائل والأساليب الحديثة...

في مسار كهذا، يكون تداول السلطة سلسًا، لا حاجة فيه للانقلابات أو الانشقاقات، أو الفئويات المتمحورة حول قادة تاريخيين مؤبدين. لا زعيم إلا الزعيم، هي مقولة القوميين التاريخية. هذه الانسيابية تؤمن استمرار التدفق، واستمرار جذب الأجيال الفتية، إلى الانخراط في العمل.

أما انسداد الأفق، نتيجة تشبث قيادات هرمة بمواقع القيادة، بحجة الحرص على العقيدة والحركة وحراسة الهيكل، فلا يمكن ازاحتها إلا بانشقاقات وانقلابات واستقواء بالخارج، فهذه أدت على مدى سبعين عامًا إلى ضرب الوحدة الروحية، وشرذمة الحزب، وساهمت بالمزيد من نفور الأجيال الفتية الجديدة المتعلمة، وابتعادها تدريجيًا عن الحزب. وقد عززت الظروف الخارجية التي واجهها الحزب عقدًا بعد عقد هذا الواقع، مما أدى إلى انفصال تدريجي للحزب عن واقع تطور الحياة والمجتمع، إذ صارت اداراته مترهلة متأخرة قديمة، حتى مع إيمانها بفكر سعادة، وعملها على تطبيق نظرتهم الجديدة إلى الحياة. وأصبح دور الطلبة والأحداث والشباب يتقلص عهدًا بعد عهد، ومشاركتهم في القيادة تعتمد على نسبة ولائهم للفريق الموجود في القيادة، لا على كفاءتهم أو اختصاصاتهم المعاصرة، أو قدرتهم على الخلق والابداع.

فالمعادلة إداً واضحة عند سعادته:

في المجتمع: صراع حتمي، بين الجيل الجديد الفتى المتمثل في زمنه بحركة النهضة، والجيل القديم الهرم المتمثل بالمؤسسات التقليدية في المجتمع، على أساس وعي الجيل الجديد لحقيقته، وحمل نظرة جديدة إلى الكون والفن، ونفوس جديدة تنتكب مهمة عظيمة، هي مهمة النهوض بالأمة، وإحداث التغيير الاجتماعي، لمواكبة تطور الحياة، والجيل الجديد هذا، قوته الدافعة هي الطلبة والشباب والأحداث.

في النهضة: يجب تأمين مسار نهضوي غير منحاز، ومفتوح للجميع للمشاركة في كل مستوياته، بناء على الكفاءة والقدرة على العطاء، لا على الولاءات، مع سياسة واضحة للتخرج أو التقاعد، مما يبقي التدفقات الداخلة والخارجة سائرة بشكل طبيعي، لأن أي انسداد في هذه التدفقات، يؤدي إلى اختناقات وصراعات ومشاكل داخلية، تكون نتيجتها ضعف العمل، وابتعاد الأجيال الجديدة عنه. عندها، يكون لكل جيل المساحة الكافية للخلق والإبداع، والعمل بفعالية وأداء عالٍ لتكون النتائج باهرة. ويصبح التحدي الإيجابي لكل جيل، أن يبني على إنجازات الجيل الذي سبقه، ويخلق بالنهضة إلى مدارات أوسع وأبعد وأعمق، بدل التركيز على تسخيف الجيل السابق ورموزه، ونسف كل ما تركوه، قبل البدء بأي بناء. هذا الأسلوب السلبي القائم على إزالة آثار من سبق في القيادة، كضرورة لإظهار التميز هي وصفة للتدمير الذاتي، والدوران في حلقات مغلقة...

يجب علينا، اليوم، استعادة هذا النموذج المرتكز إلى مفهوم سعادته العلمي للجيل الجديد، ومسار سلس لتعاقب الأجيال داخل المؤسسات، وترميم ما تبقى في التنظيمات الحزبية المتعددة، والعمل على وحدة جديدة تتبنى هذا النموذج، وتؤمن عدم حصول أي انسداد أو تسلط أو صراع على المواقع، من خلال تثبيت معايير الكفاءة، وتحديد سنٍ للتقاعد، وتجديد الخطاب والآليات بمن حضر، لاستعادة الثقة تدريجيًا من قبل الجيل الجديد الفتي، في كيانات الأمة، واجتذابه مجددًا إلى العمل النهضوي بكل نواحيه، من أجل إعادة تفعيل حركة النهضة، على أسس أثبت وأسلم وأكثر راديكالية، وتفهمٍ لمتطلبات العصر، وللتحولات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، الحاصلة في بلادنا والمنطقة.

أزمة عامة في الأحزاب

يصلح هذا النموذج للتطبيق ليس فقط في حزب سعادته، بل في معظم الأحزاب في بلادنا، التي تعاني من أزمات متشابهة، ناتجة عن عدم قدرتها، على اجتذاب الجيل الجديد الفتي الا مرحليًا، وأحيانًا، على أساس غرائزي أو عاطفي، أكثر منه عقلائي أو علمي.

وحتى نفهم أكثر التشابه الكبير في أزمات الأحزاب بشكل عام، سنختم بقراءة ما كتبه شاهر أحمد نصر، (عضو الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية) حول "آلية الصراع داخل

الأحزاب السياسية العربية"، متخذًا من الحزب الشيوعي السوري كنموذج، وسنترك للقارئ إجراء مقارناته، (مع لفت النظر الى أن بعض المصطلحات المستخدمة تختلف عن مصطلحات النهضة):

"مما لا شك فيه أنّ الأزمة التي تعيشها هذه الأحزاب أزمة فكرية، وسياسية، وتنظيمية شاملة، كما أنّها أزمة فهم لمتطلبات الواقع، ومتطلبات التطور، والانسجام معها، إذ أنّها أخذت في أشكالها الحالية، ونهجها وأساليب عملها تلعب دورًا معرفيًا لمتطلبات التطور، وتزيد من تفاقم الأزمة التي تعيشها مجتمعاتها، فهذه الأحزاب بحاجة ليس فقط لمعالجة أزماتها فحسب، بل ولتجديد نفسها باستمرار في جميع نواحي بنائها."

"يتفق الشيوعيون السوريون بتنظيماتهم المختلفة، على الأسس والمرتكزات الأساسية لسياسة الحزب الشيوعي السوري، وهي: "وجه الحزب المستقل، التعاون مع الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية، والنضال في سبيل مطالب الجماهير. وهم متفقون على برنامج سياسي واحد، ويعتقدون فكرًا واحدًا، ويتبنون أسسًا تنظيميةً واحدةً لا داعي لتكرارها."

"ومع تزايد دور الحزب الشيوعي السوري في البلاد، أخذ يعاني من أزمات، ويتخبط في صراعات داخلية تنهكه، وتلهيه عن القيام بمهامه، وتبعد الجماهير عنه منذ عقود من الزمن."

" فالصراع في الحزب لم يكن يستهدف تحسين أدائه بين الجماهير، ولا كيفية تطبيق برنامجه، بل احتفاظ القيادة بمواقعها، وإيصال المقربين إليها."

وعن أسباب التشرذم، يسرد العوامل التالية:

1- "الظروف السياسية التي سادت في البلاد والتي أفرغت العمل السياسي من محتواه، وضعف المناخ الديمقراطي، وتسلسل الحكام وبطشهم. مما ترك بصماته على التكوين النفسي لأبناء المجتمع، ومنهم أعضاء الأحزاب، لدرجة الخوف من التعبير عن الرأي في المجتمع، أو حتى داخل التنظيم، خاصة وأن القيادات الحزبية عادة ما تلجأ إلى الاقتصاص، ممن تختلف معهم في الرأي، والتضييق عليهم وفصلهم أو طردهم."

2- مدرسة الأساليب الفردية في القيادة التي تربى عليها قادة الأحزاب، التي تسخر كل القوى والإمكانات لحماية القيادة المركزية والدفاع عنها، وتنفيذ أوامرها باعتبارها معصومة عن الخطأ. وقد أثبتت هذه المدرسة فشلها الذريع وإفلاسها.

- 3- ضعف الروح الديمقراطية داخل الأحزاب، والأسلوب التنظيمي، الذي تستطيع بواسطته أية قيادة البقاء إلى ما تشاء في (رأس) الهرم وتستطيع إيصال من تشاء إلى هذا الهرم، مما يفقد الأجيال الناشئة، لأي أمل في التغيير والتطوير، في آليات العمل وخطته، وبالتالي ابتعادها التدريجي عن العمل الحزبي، وترك الساحة للقيادات المتسلطة واتباعها.
- 4- النظرة غير الموضوعية للجيل الحزبي الناشئ، وتقديم المقربين المضمونين والأقارب والأنساب.
- 5- هيمنة القيادات على مالية الحزب، ومكاتبه ومصادر التمويل والمعلومات، وحصريّة التحالفات الخارجية مما يبقيها في موقع القوة.
- 6- الجمود الفكري، وضعف التثقيف بشكل عام وسياسة التجهيل، والاعتماد على ضعيفي الثقافة والموالين، وما ينجم عن ذلك."